صيحة من دمشق

دويٌّ !..
دويٌّ !..
هذا صوتٌ أبيٌّ !..
يمدّ الأثيرَ صّدىً لعصر شقيّ ؟!..
ينثر أوراق وردٍ قرمزيّ ،
يرسم نجماً في هامة الشرقْ !.
طِرْ مع الطير قلبي سمتاً إليها ، حيّ لي جبلاً ،
سلْ موج البحور ،
تمهّل عند مصاطب القبور !،
قف جلالاً ،
اسمعها تثور ،
كفكف لها الدمع الذي فاض ، فضاءَ نور !،
صوّر جمالاً يغفو على وطن وسورْ ،
بقدر ما عرفتُ الفرح يبكي ،
بقدر ما هزّني حزن يفور !..
حين الفجر الكبير صاح ،
صيحة الخلْق ،
من دمشق .

لي ما أبكيه يا أحبابُ ..
تذوب نفسي ،
هنا كان لي قلبٌ يدقّ !.
في حارةٍ قديمةٍ ، والشبابيك تدّلى ، يجاذب بعضَها عشقْ ،
لأكتب شعراً ملأتُ جيبي قوافي ،
غرست الورد فيافي ،
أضوع شذىً ، على الجبال حبّا أدُقّ ،
أجمع في كفّيَّ غيماً ،
أغنّي لشعبٍ أبيّ ، لا يسعف النطقْ ،
لتعرفي ،
نمدّ الشفاهَ لفجر قريب ،
ونطوي الظلام حتى يضيءَ الليلَ برْقْ ،
نريد عينيك ، إلى ما تنظران ...
أن نسمع الضحك ،
ما كدّس لنا فرحاً ، محيّا وجهٍ صّبوحٍ !.
وجهك الطلقْ ،
يا دمشق .

ناهضٌ ، ظمآنُ ، خائر ، أدقُّ في وَدْقْ ،
أنا النسيان علقت آلامي على مشجب العينين ، لا تقولي ، نسيتَ ، انظري الفرقْ ،
إن قضني حزنٌ ، وفي دربي كبوت ،
يعني ، سجا الفجرٌ ،
وحام نجم على وجهي في ليلٍ أرَقْ ،
مالئاً دربي ،
حاضراً في رفقْ ،
وبي عليك حزن ، ناهشٌ في اللّحم حرْقْ ،
حتى تكوني أغنيةً ، أغني ،
يا حبّ ، ما خطبي ؟!..
استطال قلبي ،
ألقى على الأحشاء نهراً مدَّهُ عِرْقْ ،
رويداً ، نهر الدماء كنزي ،
يرمي لي صيحةً ،
من دمشقْ .

وأنت ، قاسيون !..
كم أقفر فيك شجرٌ وعاث الجنون ،
أما تعبتْ ؟!،
عشنا الحزن في صمتْ ،
فقدنا حلوَ الكلامْ ،
عرفنا الحلم ، والآمال خارت ، عليك السلامْ ،
فاض وجعُ الأنام ،
فأجريتَ اللآلئ دمعاً لدوما وقابون ،
هزّ العواصف على قابع في حصون ،
سلِ الأشباح ، من يكون ؟!.
ودرب الآلام نهر ؟!،
والضحايا عيون ؟!،
والشامُ شلالُ ظلّ ، وقلبي نارٌ حرون ،
حشد لها تاريخٌ ، ألقت فيها السنون ،
أصيح ، برداً عليها يا بردى !..
صيحة الحق ،
إلى دمشق .